



© Jack lives

الاحتفال بالشعوب الأصلية في المناطق الجبلية

في شهر سبتمبر / أيلول ٢٠٠٧، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة «إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية» الذي يشكل خطوة هامة على صعيد الجهود الدولية في سبيل الحفاظ على هوية الشعوب الأصلية والتصدي لما تعاني منه من تمييز وصعاب. وتقطن غالبية الشعوب الأصلية في مناطق جبلية ويعيش معظمها على هامش المجتمع وتعاني من الفقر ومن اندام مزمن في أمنها الغذائي.

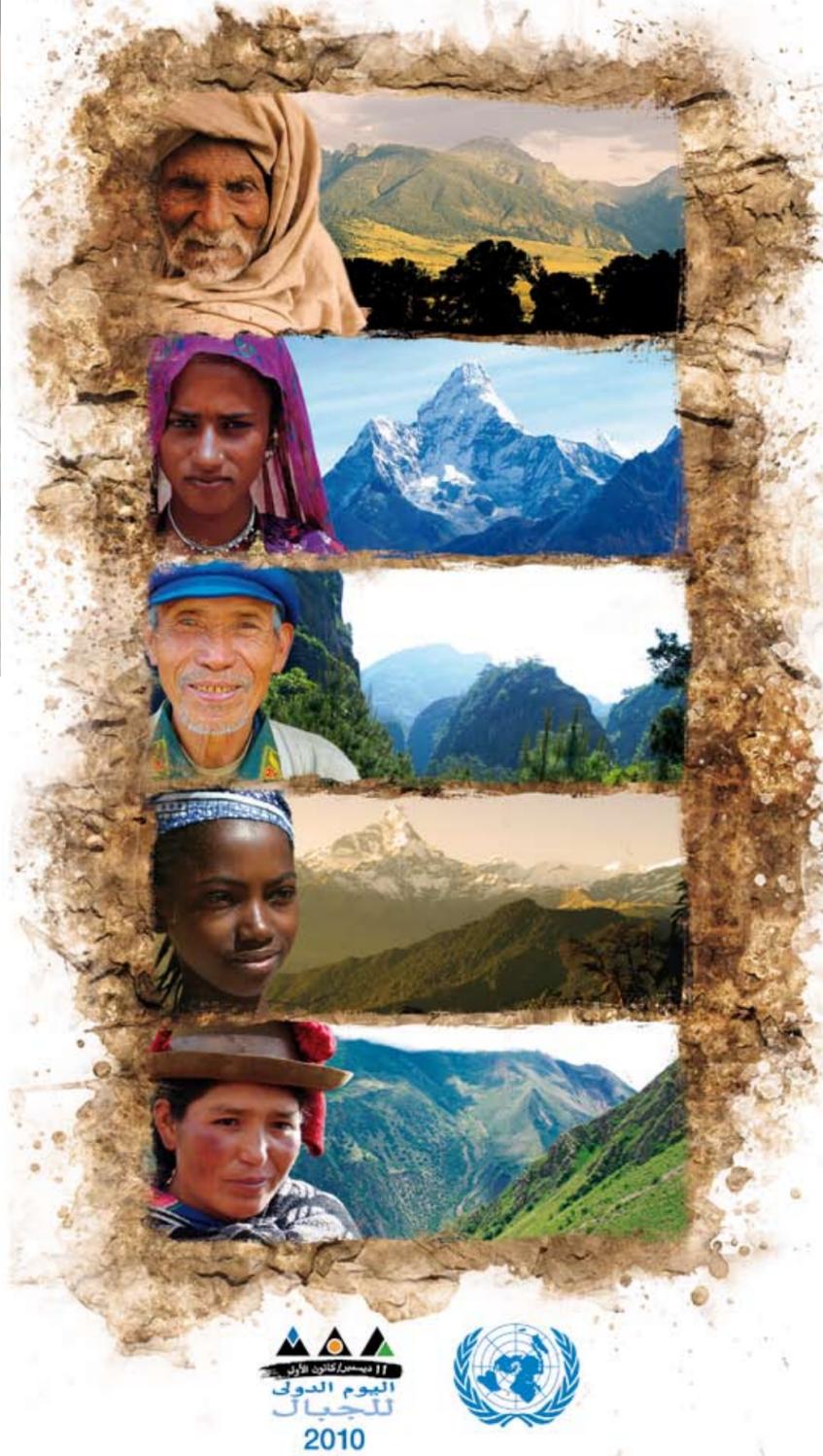
ويركّز موضوع السنة الدولية للجبال هذا العام على الشعوب الأصلية والأقليات الأخرى في المناطق الجبلية. وقد وقع الاختيار على هذا الموضوع لتسليط الضوء على التهديدات المحدقة بهذه المجتمعات، وأيضاً للإقرار بالمساهمة القيّمة التي يمكنها تقديمها في مواجهة التحديات العالمية المتمثلة بالجوع وسوء التغذية وفقدان التنوع البيولوجي وتغيّر المناخ.

تراث مرتبط بالأرض

إنّ ثقافة المجتمعات الأصلية والتقليدية في المناطق الجبلية هي ثقافة زراعية في معظمها، رسمت معالمها الظروف المناخية الصعبة والأرض الوعرة، بالإضافة إلى أنماط الزرع والحصاد والترحال الموسمية. فالأرض والمياه والغابات ليست بالنسبة إلى تلك الشعوب مجرد موارد طبيعية ينبغي استغلالها لكسب أرباح في الأسواق النائية. فلك المجتمعات، كما أسلافها من قبلها، تترك تماماً أنّ رفاهيتها واثمائها إلى هوية معيّنة ومستقبل أولادها يعتمد على إشراف جيّد على البيئته.

وعليه، تربط علاقة غالباً ما يتعدّد التعبير عنها بغير عبارات روحية بين مجتمعات الشعوب الأصلية في المناطق الجبلية والأرض. ومن الأهمية بمكان احترام هذا الواقع وحماية اللغات والموسيقى والأعمال الفنية والروايات الشعبية والأساطير التي تعبّر عنه لكفالة ديمومة مجتمعات الشعوب الأصلية في المناطق الجبلية. وإنّ هذا «التراث غير المادي» يُعني أيضاً المجتمع العالمي حيث يشكل مصدر إلهام وتصوّر لبناء علاقة مستدامة أكثر بين الإنسان والبيئة.

الأقليات والشعوب الأصلية في المناطق الجبلية أصوات من الجبال لمستقبل مستدام



قسم إدارة الغابات

منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة

Viale delle Terme di Caracalla
00153 Rome, Italy

mountain-day@fao.org
www.fao.org/mnts/intl_mountain_day_en.asp



ميراث متجذّر من التنوع البيولوجي الزراعي

تُعتبر الجبال من الناحية الزراعية أراضٍ مهمّشة غير ملائمة للزراعة التجارية الحديثة التي تركز على زراعة نوع واحد من المحاصيل الموجهة إلى الأسواق الكبرى. ورغم اعتماد عدد متزايد من المزارعين في المناطق الجبلية التقنيات الزراعية الحديثة، إلا أنّ العديد من الرجال والنساء من الشعوب الأصلية لا يزالون يمارسون الزراعة باستخدام أساليب وتقنيات تقليدية من قبيل نظم المصطبات المتطوّرة (البعليّة أو المرويّة) ونظم نقل المياه والريّ والجمع بين الرعي والحراثة والزراعة.

وهم يقومون بالتالي بزراعة مجموعة منوّعة من المحاصيل التي تلائم مجموعة مختلفة من الارتفاعات والانحدارات والمناخات الصغيرة. وهذا يجعل الشعوب الأصلية في المناطق الجبلية والمجموعات التقليدية الأخرى القاطنة هناك مؤتمنة على المعارف التقليدية حول طرق الزراعة في الظروف الجبلية الصعبة وعلى مخازن هامة للتنوع البيولوجي الزراعي.

وفي جبال الأنديز حيث تمّت للمرة الأولى زراعة البطاطا، لا يزال المزارعون الأصليون يقومون بزراعة زهاء ٢٠٠ نوع مختلف من البطاطا الأصلية. وفي جبال نيبال، يزرع المزارعون التقليديون نحو ٢٠٠٠ نوع من الأرز. وبما أنّ البطاطا والأرز هما من المحاصيل الأساسية في العالم، فمن الهام جداً مساندة الأساليب الزراعية الأصلية التي تحافظ على هذا التنوع. غير أنّ العديد من المحاصيل «الثانوية» الأخرى لا تقل أهمية عنها بالنسبة إلى المجتمعات الأصلية. ومن الأمثلة على ذلك «الوكو» وهو من الدرناط الطبيعية والكينوا، وهو نوع من البذور من جبال الأنديز؛ والتيف، وهو من البذور التي تُزرع في المرتفعات في إثيوبيا؛ ومختلف أنواع الدُخن التي تعتبر عنصراً رئيسياً في النظم الغذائية للمجتمعات المحلية في جبال الهماليا.

ولا بدّ من الإقرار بأنّ لكلّ من الرجال والنساء في المجتمعات الجبلية الأصلية مجالات مختلفة من المعرفة والخبرة والمسؤولية التي تساهم جميعاً في حماية التنوع البيولوجي. وبشكل عام، تركز النساء على المحاصيل المزروعة في الحدائق المنزلية والمخصصة للاستخدام المنزلي، بينما يركز الرجال على المحاصيل المدرة للدخل. فقد أظهرت دراسة شملت ٣٠ حديقة منزلية لدى قبيلة «مارما» في مقاطعة Rangamati Hill District في بنغلاديش، أنّ النساء مسؤولات بصورة رئيسية عن العناية بالحدائق المنزلية، الأمر الذي أسهم في المحافظة على مجموعة من الموارد الوراثية لـ١٩٤ نوعاً دائماً من المحاصيل الغذائية والفاكهة والخشب ونباتات الزينة.

الدعم الدولي للنظم الزراعية الأصلية في جبال الأنديز

في سنة ٢٠٠٢، أطلقت منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (المنظمة) مبادرة لصون النظم الزراعية الموروثة ذات الأهمية العالمية وإدارتها بما يتلاءم والظروف القائمة. وكان أحد المواقع الرائدة في هذا المشروع يقع في القسم الجنوبي من جبال الأنديز في بيرو في منطقة تشمل المساحات المحيطة بماشو بيتشو وبحيرة تيتيكاكا.

وإنّ المجتمعات الأصلية الأربعة التي اختيرت لتكون مواقع محددة لأنشطة المشروع قد حافظت على العديد من أساليبها الزراعية التقليدية رغم تأثير الزراعة الحديثة الكبير. وعلى علو يفوق ٤٠٠٠ متر عن سطح الأرض، تُستخدم الأراضي بصورة رئيسية كمراعٍ وإن كانت تتم أيضاً زراعة بعض المحاصيل التي تنمو على علو مرتفع. وتشكل الهضبة المحيطة بحيرة تيتيكاكا مثلاً على النظم الزراعية الموروثة المستخدمة في تلك المنطقة، حيث يقوم المزارعون بحفر خنادق حول حقولهم. وخلال النهار، تسخّن حرارة الشمس هذه الخنادق المملوءة مياهاً. وما إن تددنى درجة الحرارة ليلاً، حتى يتصاعد بخار دافئ من المياه ويشكل طبقة حامية من الجليد للبطاطا ولغيرها من المحاصيل الطبيعية مثل الكينوا.

وإنّ المشروع الرائد لصون النظم الزراعية الموروثة ذات الأهمية العالمية، ضمن شراكة مع المجلس الوطني للبيئة في بيرو (CONAM) ومشاركة مؤسسات محلية، قد ساعد على المصادقة على أنواع التكنولوجيا الزراعية الأصلية هذه وعلى الترويج لها. وساهم المشروع الرائد، بالتنسيق مع المزارعين الأصليين والمؤسسات المحلية، في إنتاج بذور عالية الجودة من المحاصيل الطبيعية. وأقيمت أيضاً معارض محلية لتيسير عمل أسواق البذور المحلية.



المحافظة على تراث الأقليات الأوروبية في المناطق الجبلية

انتقل «الفالزر» وهم السكان الأصليون لمنطقة هوت فاليه السويسرية، قبل عقود من الزمن إلى عدد من الوديان المرتفعة في جبال الألب في كلّ من النمسا وفرنسا ولختنشتاين وإيطاليا. لكنّ لهجة الفالزر الألمانية لم تعد محكيّة في العديد من المجتمعات المحلية في حين أنّ عدداً كبيراً من الشباب لا يرون مستقبلاً لهم في ديارهم الجبلية.

ويسعى مشروع «الفالزر في مناطق الألب» (Walser Alps) الذي يموّله الصندوق الأوروبي للتنمية الإقليمية إلى إقامة علاقات تعاون وتضامن عبر الحدود الوطنية بين مجموعات الفالزر المحلية. وهذا المشروع الذي يشكل فرصة لكي لا تصبح عادات الفالزر مقصورة على الكتب والمتاحف، يسعى إلى إبراز قيمة تراث الفالزر كمدخل إلى تشجيع السياحة المستدامة في مجتمعات الفالزر المحلية. وقد اعتُبرت أيضاً المحافظة على عادات الفالزر وسيلة لصون المعارف المتاحة عن الإدارة المستدامة للبيئات الجبلية.

ويُقسم المشروع إلى عدد من فئات العمل التي تتضمّن مجموعة متنوعة من النشاطات كالآتي:

- إعداد نسخ رقمية من المستندات والصور الخاصة بالتراث الثقافي للفالزر من أجل إقامة رابط بين الأطفال وأسلافهم؛
 - إصدار قاموس ومواد تعليمية خاصة بالفالزر؛
 - تطوير أداة مشتركة للتخطيط المستدام على مستوى البلدية لاستخدام الأراضي؛
 - إعداد مواد لتوعية الرأي العام على مجتمعات الفالزر المحلية كمدخل لتشجيع السياحة المستدامة.
- ولا تزال شبكة الفالزر نشطة رغم مرور ثلاث سنوات على إنجاز المشروع.

قبل عقود من الآن، عندما بدأ المزارعون والرعاة زراعة المحاصيل ورعاية الحيوانات في نيبال، أنشأت المجتمعات المحلية نظاماً أسمته «Dee System» لتنظيم استخدام الأراضي. وبموجب هذا النظام، يتم سنوياً تعيين قائد في القرية يسمى «ناوا» للإشراف على القوانين التي تُعنى بالدرجة الأولى بحماية المحاصيل من الماشية. ويمكن لأي شخص كان أثبت أنّ لديه مهارات قيادية أن يتولى منصب «ناوا» في القرية، رجلاً كان أم امرأة. ومع الوقت، تولى «الناوا» مزيداً من المسؤوليات الاجتماعية للبتّ في قضايا تتعلق باستخدام الأراضي.

وشهدت الموارد الحرجية تدهوراً كبيراً بعدما تم إنشاء حديقة ساغرماتا الوطنية في نيبال وانتشار السياحة. وسرعان ما عمد المزارعون إلى قطع أشجار الغابات للحصول على حطب الوقود والخشب ظناً منهم بأنّ الغابات التي ورثوها عن أجدادهم قد أصبحت الآن في عهدة الدولة. كذلك فإنّ اتساع السياحة أتى على كميات واسعة من حطب الوقود، مما أدى إلى ممارسة مزيد من الضغوط على الموارد الحرجية. وبموازاة ذلك، تراجع نفوذ «الناوا» حتى أصبح بالكاد نفوذاً شكلياً وهو الآن مهدد بالزوال كلياً.

ومعظم السكان المحليين يدركون الآن أهمية النظم التقليدية لإدارة الموارد الطبيعية. وهم يؤيّدون بشدّة إنعاش نظام «الناوا» وعودته لما كان عليه قبل إنشاء حديقة ساغرماتا الوطنية. والصندوق العالمي للطبيعية فرع نيبال، الذي يتعاون في حديقة ساغرماتا الوطنية والمنطقة العازلة مع السلطات المحلية والسلطات المسؤولة عن الحديقة من أجل صون الأنواع والنهوض بالغابة والمراعي فيه وبناء القدرات في هذا المجال، يتعاون حالياً مع مجموعات المستخدمين ومع لجنة محلية لإنعاش نظام «الناوا».

استرداد مصادر التغذية التقليدية

رغم انتشار انعدام الأمن الغذائي في أوساط العديد من المجتمعات الأصلية في المناطق الجبلية، تساهم الأغذية المحلية المزروعة في الحقول وفي الحدائق المنزلية بشكل كبير في تغذية الأسر. ولا تُحدد القيمة التغذوية لهذه الأغذية من خلال مختلف أنواع المحاصيل المحلية فحسب، بل عبر طريقة المزج بين الأعشاب والبهارات والزيت واللحوم والخضار والمطيبات مع بعضها البعض وطهيها (بصورة حصرية تقريباً من جانب النساء). وإنّ هذا المطبخ التقليدي، بالإضافة إلى المعرفة والمهارات اللازمة له، تشكل ناحية حيوية أخرى من التراث الثقافي غير المادي لسكان الجبال.

ومع أننا لا نعرف الكثير عن القيمة التغذوية للنظم الغذائية الأصلية في المناطق الجبلية، إلا أنّ ما نعرفه هو أنها عرضة للخطر. فالأغذية المجهّزة التي يتم الاتجار بها في الأسواق الدولية والزهيدة الثمن نسبياً باتت في متناول المجتمعات المحلية في المناطق الجبلية، والأغذية الأصلية التي تُطلق عليها تسمية «غذاء الفقراء» غالباً ما يتم التخلي عنها لصالح أغذية حديثة أسهل للطهي ولكن غالباً ما تحتوي على معدلات عالية من السكر والدهون مقابل قيمة تغذوية منخفضة. وتؤدي هذه الظاهرة إلى تفاقم مشكلة المعدلات المرتفعة نسبياً من نقص المغذيات الدقيقة من الإيودين والفيتامين ألف التي يلاحظ وجودها لدى المجتمعات المحلية الفقيرة في المناطق الجبلية.

معارف الشعوب الأصلية في مواجهة تغيّر المناخ

عمد المزارعون التقليديون ومن الشعوب الأصلية في المناطق الجبلية إلى تصميم نظمهم الزراعية بحيث تحمي التربة من التآكل وتصون الموارد المائية وتحدّ من خطر وقوع كوارث تحت تأثير عوامل طبيعية. وفي ظلّ السيناريوهات الخاصة بتغيّر المناخ التي تشير بشدّة إلى احتمال ازدياد وتيرة الأحداث المناخية المتطرّفة وحدّتها في المناطق الجبلية، من شأن هذه النظم الزراعية أن تؤدي دوراً مركزياً في استراتيجيات التكيف مع تغيّر المناخ.

وعلاوة على ذلك، لا توجد سجلات موثوقة في المدى الطويل عن مناخ المناطق الجبلية إلا بالنسبة إلى عدد قليل جداً من المناطق مثل جبال الألب. فالمعارف البيئيّة المحلية حول الأحداث الهيدرولوجية والقدرة على استباق الانهيارات الثلجية يمكن أن تحدّ مثلاً من المخاطر في الجبال، في حين أنّ ذاكرة الأحداث السابقة والقصص المتناقلة من جيل إلى آخر يمكن أن تساعد الباحثين على فهم التقلبات التاريخية في الأنماط المناخية في المناطق التي لا تتوافر عنها بيانات علمية كافية.

آفاق المستقبل

يُعتبر إشراك المجتمعات المحلية الأصلية والتقليدية في المناطق الجبلية شرطاً أساسياً للتنمية المستدامة للجبال. وعليه، وفي حين تسعى الحكومات إلى تلبية الأولويات الخاصة بتنمية المناطق الجبلية، لا بدّ من أن تحترم التزاماتها التي نصّ عليها إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية. وأهمّ تلك الحقوق ما ورد في المادة ٢ من الإعلان التي جاء فيها أنّ «الشعوب الأصلية وأفرادها أحرار ومتساوون مع سائر الشعوب والأفراد، ولهم الحق في أن يتحرروا من أي نوع من أنواع التمييز...»

وفي ما يلي النقاط الرئيسية والنشاطات التي ينبغي إسناد الأولوية لها:

- دعم حق الشعوب الأصلية في تقرير مصيرها ولا سيما حقها في تحديد الأولويات والاستراتيجيات لتطوير أراضيها والموارد الطبيعية الأخرى أو استخدامها، وبلورة تلك الأولويات والاستراتيجيات؛
- مراعاة صوت الشعوب الأصلية عند رسم السياسات والخطط الحكومية والوطنية؛
- التوعية على أهمية التنوع البيولوجي الزراعي في الجبال بالنسبة إلى المجتمعات الأصلية والعالم ككلّ.
- وتوسيع نطاق تركيز التنوع البيولوجي بحيث يشمل دراسات مراعية للمساواة بين الجنسين عن المحاصيل التقليدية في المناطق الجبلية وحيوانات المزرعة والأساليب الزراعية المحلية والنظم الغذائية؛



© Jack Ives

- توجيه الجهود الدولية لوضع نظم الزراعة الأصلية في المناطق الجبلية والنظم الغذائية فيها على قائمة التراث الثقافي غير المادي لدى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، على غرار التعاون الموجود حالياً بين إيطاليا واليونان وإسبانيا والمغرب للترويج للنظام الغذائي المتوسطي وحمايته. وقد يشكل هذا مدخلاً إلى تحسين مستويات التغذية والمحافظة على الأغذية الأصلية والتقليدية المزروعة في المناطق الجبلية؛
- الترحيب بمشاركة المجتمعات الأصلية والتقليدية في المناطق الجبلية مشاركة نشطة في الجهود الوطنية والدولية لفهم تغير المناخ في الجبال والتكيّف معه. ولا بد لاستراتيجيات التكيف مع تغير المناخ من أن تراعي خبرتهم في مجال إدارة الموارد الطبيعية ونظرتهم التاريخية؛
- الربط بين المعرفة التقليدية والأصلية والعلمية في برامج التنوع البيولوجي الزراعي.